

«العبرانيين» (كجماعة اثنية) وبني إسرائيل (كجماعة دينية). وهذه المرحلة الكبرى تقسم، بدورها، الى فترات عدة، وهي مرحلة يختلط فيها التاريخ بالاسطورة، ويتم اسقاط مفاهيم من فترات لاحقة على فترات سابقة.

١ - فترة الآباء (البطارقة) (٢١٠٠ - ١٢٥٠ ق.م.): ابتداء من ابراهيم حتى يوسف. وحسبما جاء في التوراة، قطع الله على نفسه عهداً لابراهيم ان الشعب الذي سينحدر من صلبه سيكون شعباً عظيماً، وان ارض كنعان ستكون من نصيبه. وحسب الرؤية التوراتية، يمكن القول ان عبادة الآباء قد تأثرت بالتراث الديني السامي القديم بتقديسها للقوى الطبيعية والايمان بالروح والشياطين والتحريمات (taboo) وتمييزها بين الطاهر والنجس؛ ويلاحظ وجود عناصر وثنية، كما هو الحال في قضية التيرافيم (الاصنام).

٢ - موسى والخروج من مصر أو فترة سيناء (١٢٧٥ - ١٢٥٠ ق.م.): تلقى موسى، في سيناء، الوحي الالهي من يهوه، والأمر بالأعباد الآه، باعتباره الاله الواحد، وبدعم تجسيده، أو تشبيهه، بشيء من خلقه (أي ان الخالق يصبح خالق التاريخ والطبيعة منفصلاً عن كليهما). وقد صاحبت هذا الوحي مجموعة من الطقوس والقوانين الاجتماعية تحكم القبائل العبرانية في محيطها الصحراوي، أي نزل قانون ديني دائم ينظم المجتمع، وعلاقات افراده. وفي هذه الفترة، تجدد العهد الالهي المعطى للآباء، ويعد الخروج ذاته تحقيقاً لهذا الوعد؛ وتعد حادثة الخروج هي اللحظة التي ولد فيها اليهود (بني اسرائيل)، كجماعة دينية متميزة.

٣ - المواجهة الاولى مع حضارة كنعان والصراع بين يهوه وبعل (١٢٠٠ - ٥٨٧ ق.م.): حينما دخل العبرانيون فلسطين، أو ارض كنعان، وجدوا ان عبادة بعل، وهي عبادة من عبادات الطبيعة، كانت سائدة هناك، وقد حملوا معهم عبادة يهوه، وهي عبادة الصحراء. وحينما امتزجوا، وتزاوجوا، مع السكان الاصليين، وتبنوا لسانهم، تم الامتزاج بين العقيدتين. وقد أصبح التناقض بين عبادة يهوه (رب التاريخ والشعب) وعبادة بعل (رب الطبيعة والحياة اليومية) هو التوتر الاساسي الذي تحكم في حياة العبرانيين الدينية، حتى سقوط الدولتين اليهوديتين. وقد شهدت هذه الفترة ظهور الانبياء المدافعين عن عبادة يهوه. والاصلاح التثنوي (٦٢١ ق.م.) هو تعبير عن التوتر آنف الذكر، الذي كان له ابعاده السياسية. وحسب التصور الديني، اكتمل الوعد الالهي بالارض والخلاص في مرحلة الملوك؛ كما تم تشييد الهيكل في تلك المرحلة (مرحلة الهيكل الاول) وتحوّل الى محور الديانة اليهودية. وكان يشرف على العبادة القربانية، المرتبطة بالهيكل، الكهنة. وعلى الرغم من تأكيد وحدانية الله، فقد ظهرت مفاهيم أخرى ذات طابع حلولي متطرف، مثل الاختيار (بتضميناته العرقية) والتركيز على الارض، تحدّد من عالمية الخالق وتجعله مقصوراً على شعبه وأرضه، مما ينقص من وحدانيته. وقد ظل هذا توتراً أساسياً في النسق الديني اليهودي. فاله العالمين لا يحتاج الى ارض أو شعب؛ اما الاله القومي، فيحتاج الى شعب وأرض. وهو توتر بين النزعة الدينية الاخلاقية التي تبحث عن الخلاص في الزمان والنزعة الوثنية القومية التي تبحث عنه في المكان (التي يمكن ان نسميها «نزعة صهيونية» بالمعنى العام والبنويوي). وقد أصبح داود الملك النموذجي الذي يحكم، باعتباره حاكماً دينياً يساعده الكهنة؛ وارتبط اسمه بالماشياح المخلص الذي سيكون من نسله (الآن عقيدة الماشياح ذاتها لم تكن قد ظهرت، بعد، في هذه الفترة). وقد ظهر، في هذه المرحلة، بعض القوانين الاخلاقية والشعائر، مثل الختان وشعائر الطعام والزراعة والسبت واعياد الفصح والاسباع والمظالم. وتميزت المرحلة بأن